سلسلة الحيوانات والطيور فى القرآن (٧)

الحوت المطيع



تأليف

محمد محمود القاضى

رسوم : ياسر سقراط إخراج فنى : ألوان للإعلان

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
رقم الإيداع :٢١٧٧٣ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-265-588-8

دار التـــوزيع والنشـــر الإسلاميـــة
مصـــر - القاهـــرة - السيــدة زيـنب ص- ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بور سعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢- فاكس ٣٩٣١٤٧٥
www.eldaawa.com Email: info@eldaawa.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ
وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ «سورة الأنبياء ٨٧،٨٨»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

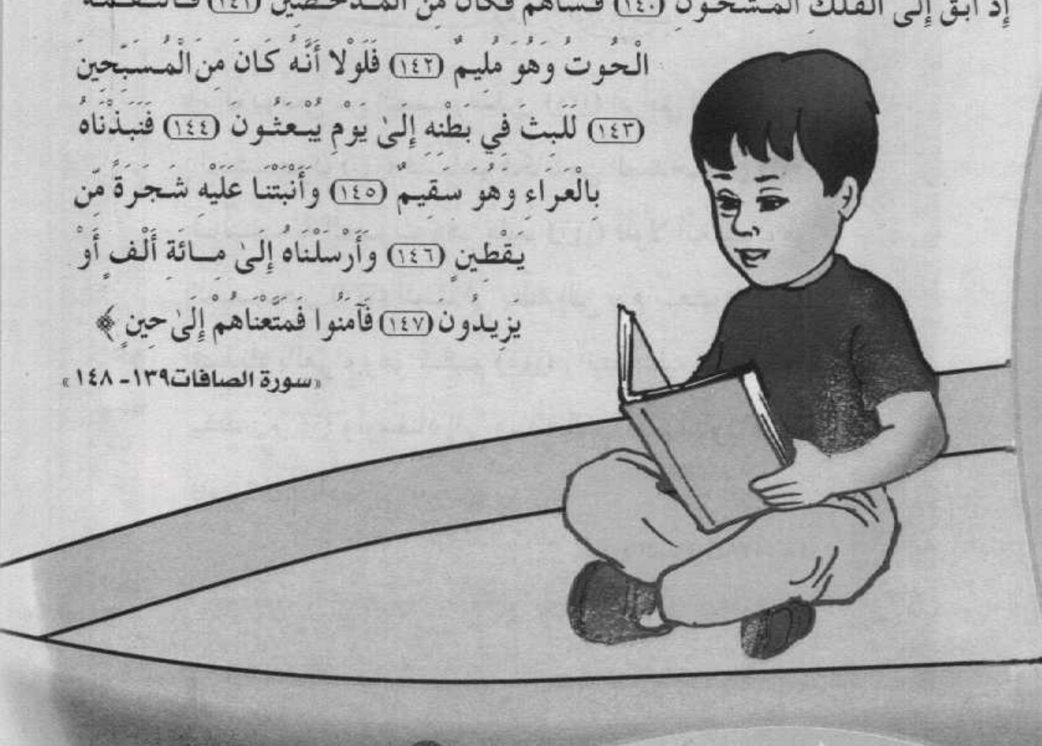
﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ
الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١)
فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤)
فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن
يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧)
فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾

«سورة الصافات ١٣٩ - ١٤٨»

ذات يوم، قرر والد أحمد أن يسافر مع زوجته وابنه أحمد إلى أراضى الحجاز لأداء العمرة.. فاقترح أحمد على والده أن يسافر عن طريق البحر .. لأنه يحب ركوب السفن .. حتى يستمتع بمنظر البحر.. فوافق الأب على اقتراح أحمد.. وعندما ركبت الأسرة السفينة كان أحمد يصعد فوق ظهر السفينة كل ليلة ليستمتع برؤية البحر ومنظر البدر الجميل فى وسط السماء.. واعتاد أحمد أن يقرأ كل ليلة بعض ما يحفظ من القرآن..

وذات ليلة من ليالى السفر.. كان أحمد جالسًا فوق سطح السفينة بمفرده.. وكان يقرأ فى سورة الصافات بصوت جميل عذب.. حتى وصل إلى الآيات التى تتحدث عن قصة نبى الله يونس عليه السلام..﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩)
إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ
الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ
(١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ
بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن
يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾

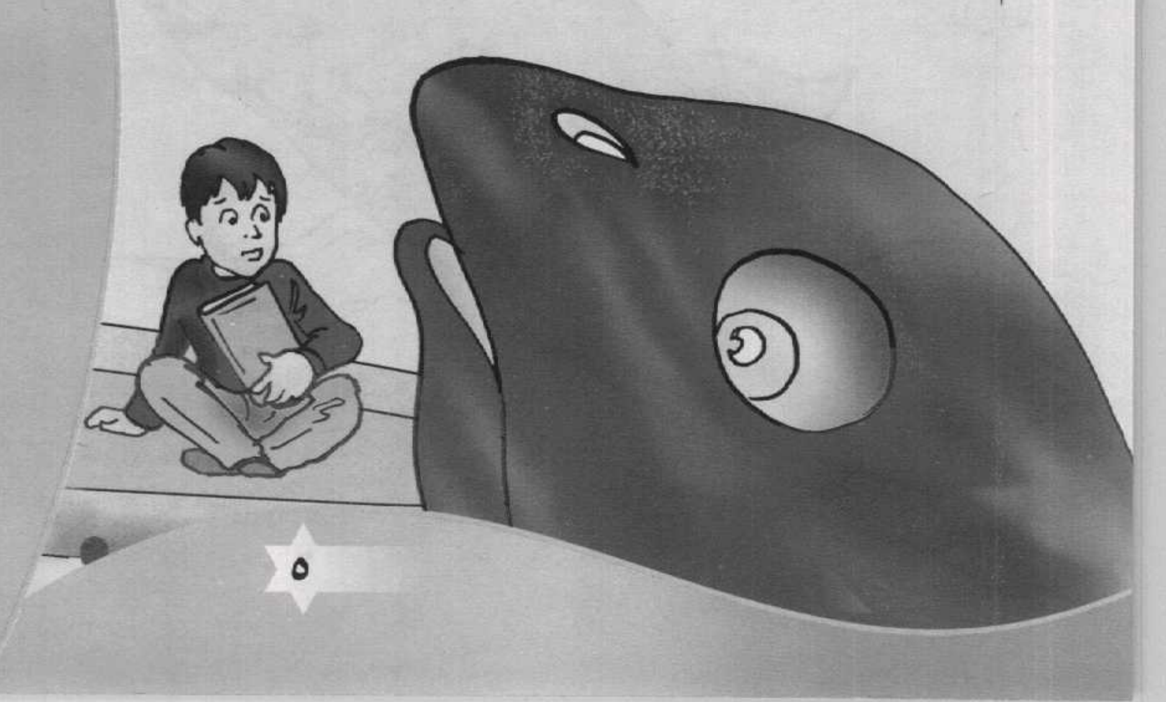
«سورة الصافات١٣٩- ١٤٨»



فسمع أحمد صوت شيء يتحرك فى الماء بشدة.. فنظر أحمد إلى الماء.. فرأى حوتًا كبيرًا ضخمًا يقترب من السفينة.. فخاف أحمد خوفًا شديدًا وتوقف عن القراءة.. وفى هذه اللحظة كان الحوت قد اقترب جدًا من السفينة وأخرج كثيرًا من جسمه من الماء حتى أصبح رأسه بمحاذاة أحمد.. وهنا تكلم الحوت وقال: لماذا توقفت عن القراءة أيها الصبى .. إن صوتك حسن فى قراءة القرآن مما دفعنى أن أقترب منك وأسمعك..أكمل ..أكمل..

قال أحمد: ولكنى أشعر بالخوف منك..

ضحك الحوت وقال: لا تخف يا صديقى.. ولكن قل لى أولاً: ما اسمك؟ قال الصبى: اسمى أحمد.. قال الحوت: اسمك جميل مثل صوتك.. لقد هزتنى الآيات التى كنت تقرؤها من سورة الصافات والتى تتحدث عن قصة نبى الله يونس عليه السلام..



فتذكرت جدى الأكبر الحوت العظيم الذى ابتلع نبى الله يونس..

شعر أحمد ببعض الطمأنينة وقال: وهل حوت يونس كان جدك؟

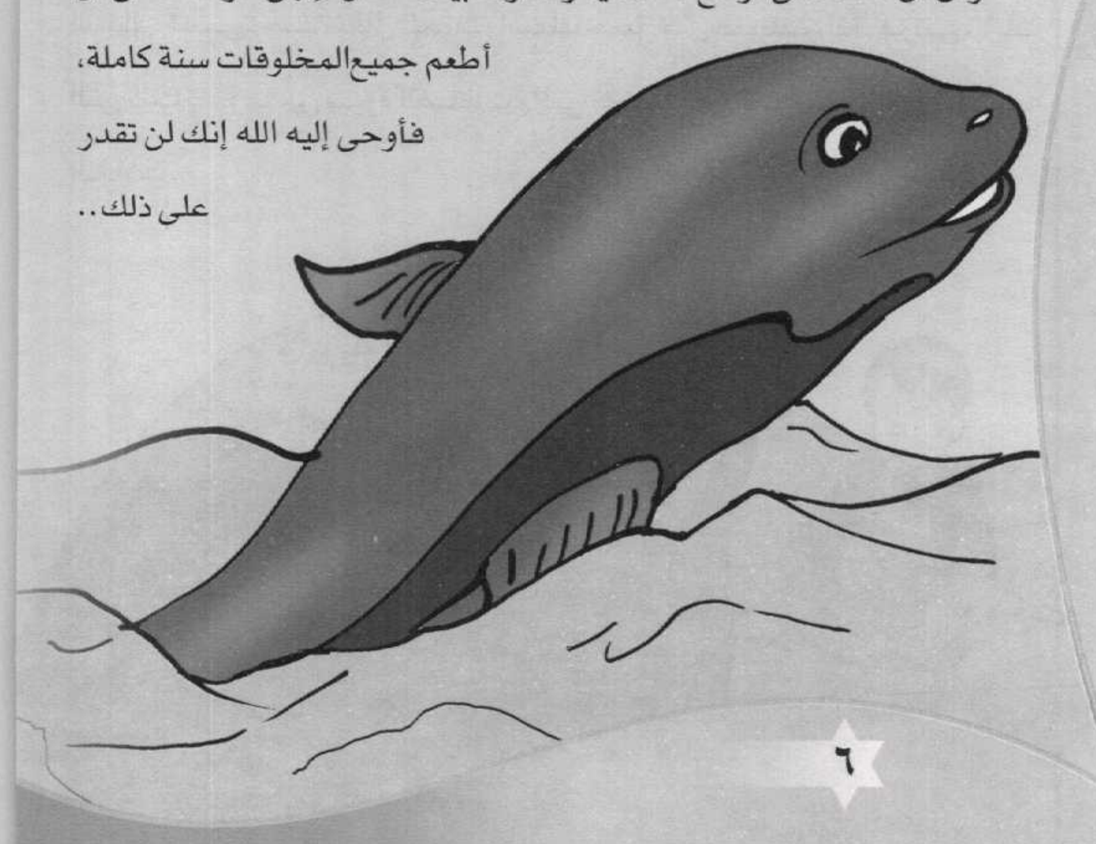
قال الحوت: نعم. قال أحمد: وهل كان كبيرًا وضخمًا مثلك؟

قال الحوت: كان حجمه أكبر من حجمى بكثير .. فبعض أنواعنا تصل إلى أحجام كبيرة جدًا..

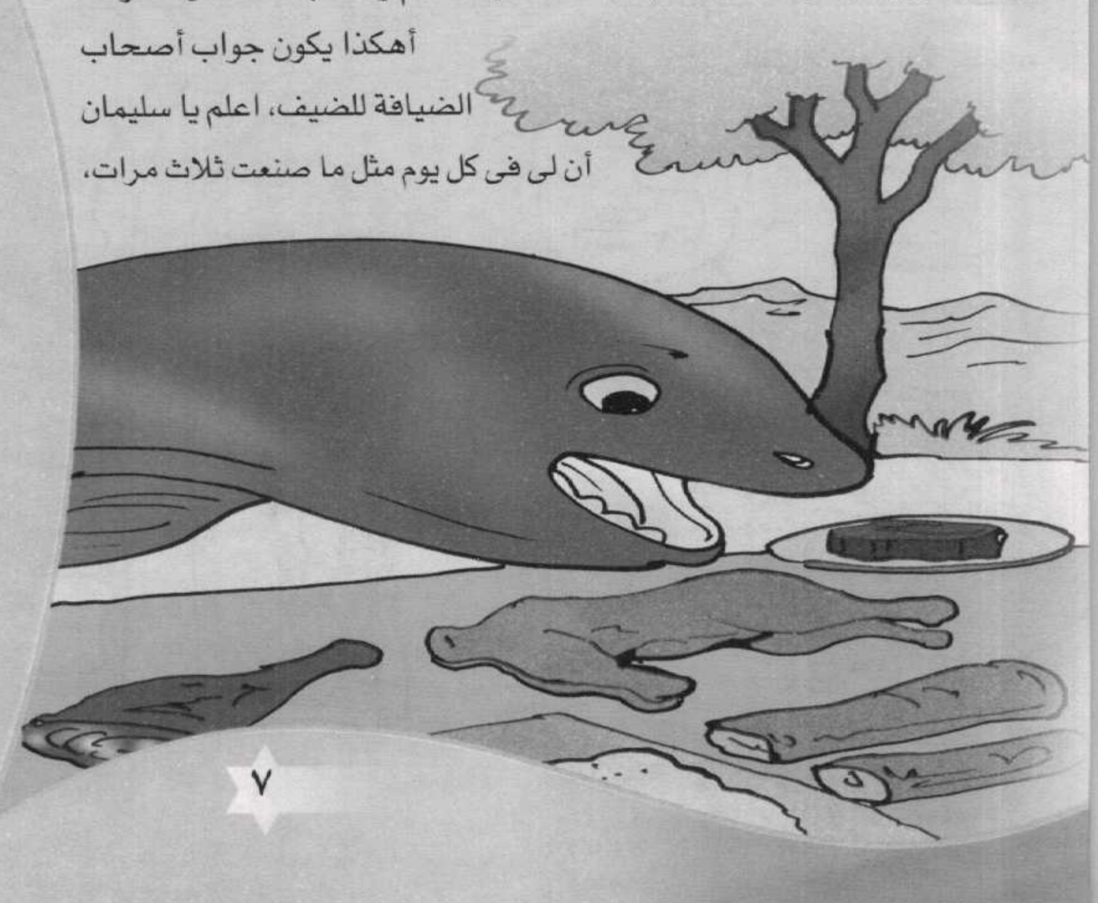
قال أحمد: وكيف تجد هذه الحيتان الكبيرة ما يكفيها من الطعام ؟

قال الحوت: لا تنس يا أحمد أن الله هو الذى خلقها وهو الذى تكفل برزقها.. ولقد ذكرنى كلامك يا أحمد بقصة عجيبة .. فإن نبى الله سليمان عليه السلام لما رأى أن الله تعالى أوسع له الدنيا وصارت بيده.. قال: إلهى، لو أذنت لى أن أطعم جميع المخلوقات سنة كاملة،

فأوحى إليه الله إنك لن تقدر على ذلك..



فقال: إلهى، أسبوعًا. فقال الله تعالى: لن تقدر. فقال: إلهى، يومًا واحدًا. فقال تعالى: لن تقدر. فقال: إلهى، مقصودى ولو يومًا واحدًا. فأذن الله تعالى له فى ذلك.. فأمر سليمان جنوده بصنع مائدة ضخمة كبيرة، عرضها مسيرة شهرين، وطولها مسيرة شهرين، وأمر سليمان الرياح أن تهب على الطعام لئلا يفسد.. ثم أوحى الله إليه: يا سليمان، بمن تبتدئ من المخلوقات؟ فقال سليمان: أبتدئ بدواب البحر.. فأمر الله حوتًا من البحر أن يأكل من ضيافة سليمان. فرفع ذلك الحوت رأسه وقال: يا سليمان، سمعت أنك فتحت بابًا للضيافة اليوم، وقد جعلت عليك ضيافتى.. فقال سليمان: تقدم وكُل.. فتقدم ذلك الحوت وأكل من أول المائدة، فلم يزل يأكل حتى أتى على كُل الطعام فى لحظة.. ثم نادى: أطعمنى يا سليمان وأشبعنى.. فقال سليمان: أكلت كل الطعام وما شبعت. فقال الحوت: أهكذا يكون جواب أصحاب الضيافة للضيف، اعلم يا سليمان أن لى فى كل يوم مثل ما صنعت ثلاث مرات،



وأنت كنت السبب فى منع راتبى فى هذا اليوم، وقد قصرت فى حقى.. فعند ذلك خر سليمان ساجدًا لله تعالى، وقال: سبحان المتكفل بأرزاق الخلائق من حيث لا يعلمون..

قال أحمد: ما أروع هذه القصة أيها الحوت الكبير.. والصديق الجديد.. قال الحوت: بل أروع منها قصة حوت نبى الله يونس عليه السلام.. وسوف أحكيها لك أيضا مكافأة على حسن صوتك فى قراءة القرآن.. الذى أمتعتنى به الليلة.. قال أحمد: شكرًا شكرًا يا صديقى الحوت..

قال الحوت: فى قديم الزمان، كان هناك قرية من قرى العراق تسمى نينوى، وكان أهلها مائة ألف أو يزيدون، وكانوا يعبدون الأصنام.. فأرسل الله سبحانه إليهم نبيه يونس عليه السلام ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة الأصنام التى لا تنفع ولا تضر..



ومكث يونس فى قومه فترة يدعوهم إلى عبادة الله.. ولكنهم كفروا به وعارضوه معارضة شديدة.. فغضب يونس عليه السلام، ووعدهم بعذاب الله لهم بعد ثلاثة أيام.. وقرر أن يتركهم ويهاجر.. معتقداً أن الله لن يضيق عليه، فأرض الله واسعة.. وظن أنه سيجد مكانًا آخر يكون أهله أكثر قبولاً للدعوة وأقل عداوة له..

قال أحمد: الهجرة حل جميل فى مثل هذه الظروف..

قال الحوت: لا يا أحمد، إن الله سبحانه أرسل نبيه يونس عليه السلام إلى هؤلاء القوم خاصة.. وكان لابد أن يتحمل الأذى منهم.. ولا يخرج من بينهم إلا إذا أذن الله له بذلك.. ولذلك لما خرج يونس عليه السلام من نينوى ذهب وركب مع قوم فى سفينة.. وبينما هم فى وسط البحر.. تلاعبت بهم الأمواج.. وقالوا: لا بد من تخفيف الحمولة حتى تنجو السفينة من الغرق..



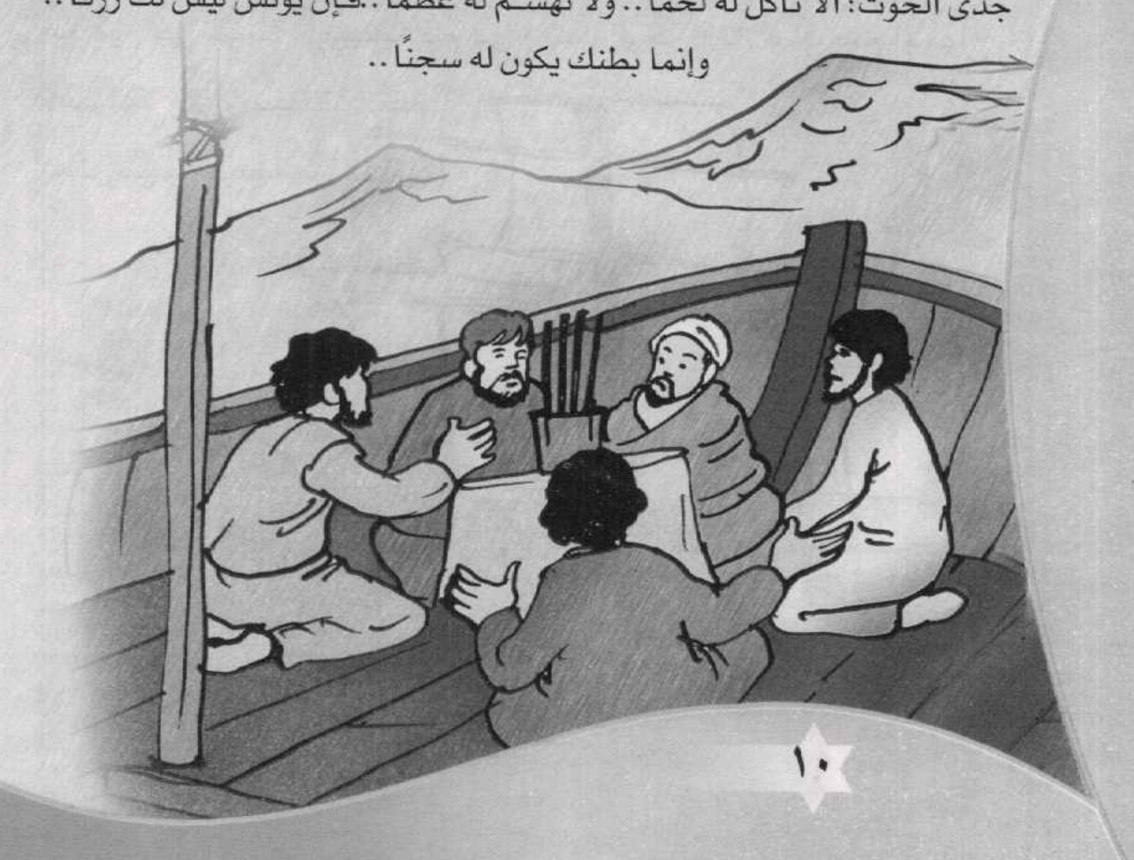
وأجروا القرعة.. فوقعت القرعة على يونس.. فأبوا أن يلقوه؛ لأن من معه فى السفينة كانوا معجبين به لحلاوة ذكره وتسبيحه لله، ولذلك أعادوا القرعة مرة ثانية، فوقعت عليه. فأبوا أن يلقوه، فأعادوا القرعة مرة ثالثة فوقعت عليه.. فقام يونس عليه السلام وتجرد من ثيابه ثم ألقى بنفسه فى البحر..

قال أحمد: يبدو أن القرعة لما وقعت على نبى الله يونس فى المرات الثلاث جعلته يتيقن أنه هو المطلوب.. وأن هذا قدر الله له..

قال الحوت: نعم يا أحمد.. ولذلك لما ألقى يونس بنفسه فى البحر.. أمر الله سبحانه جدى الحوت أن يسرع إلى حيث ألقى يونس بنفسه ويلتقمه فى الحال..

قال أحمد: الحوت الكبير يبتلع يونس عليه السلام .. يا لها من نهاية أليمة..

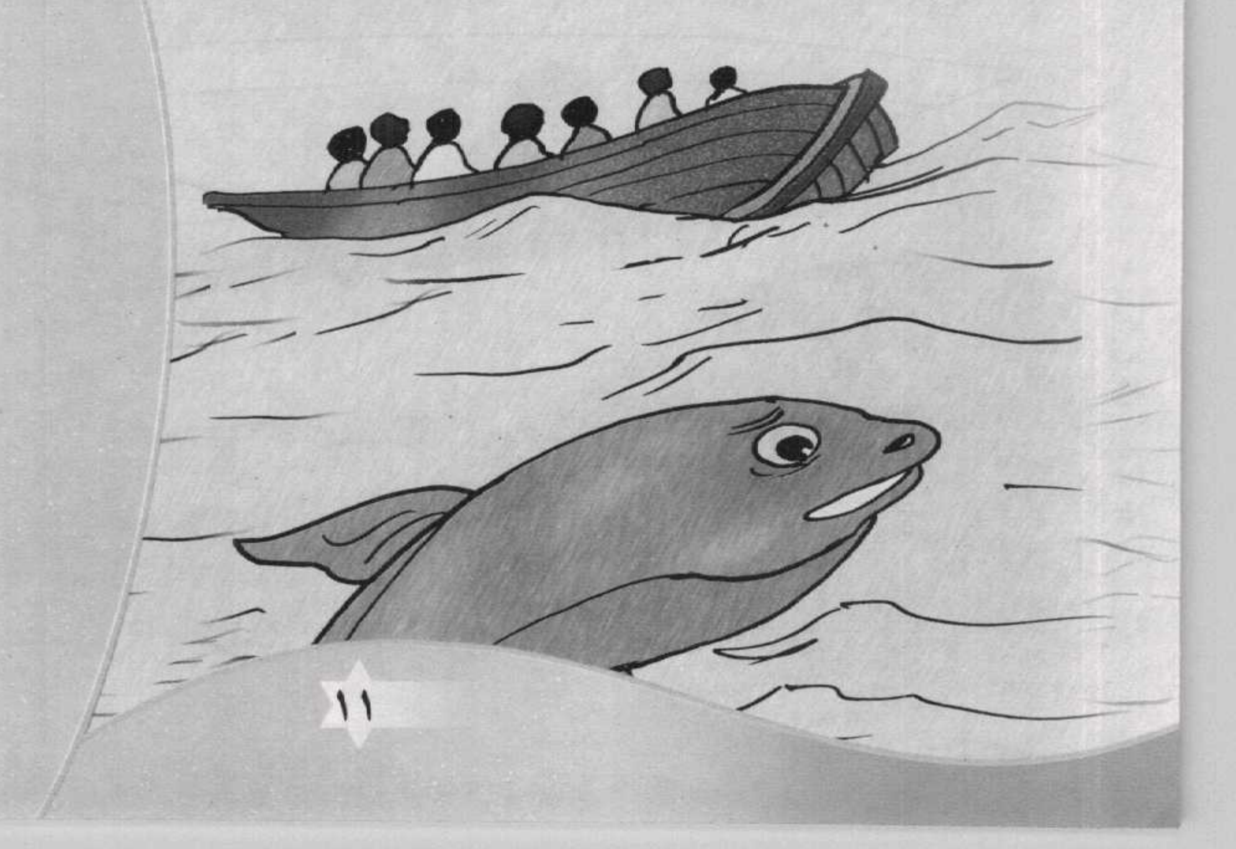
ضحك الحوت وقال: لا يا أحمد ليست هذه هى النهاية ..فلقد أوحى الله تعالى إلى جدى الحوت: ألا تأكل له لحمًا.. ولا تهشم له عظمًا..فإن يونس ليس لك رزقًا.. وإنما بطنك يكون له سجنًا..



قال أحمد : وماذا فعل نبى الله يونس عندما وجد نفسه فى بطن الحوت؟

قال الحوت: كان الوقت الذى ألقى فيه يونس بنفسه فى البحر ليلاً .. لذلك وجد يونس نفسه فى ظلمات ثلاث: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت.. ولكن يونس عليه السلام سمع وهو فى بطن الحوت تسبيح دواب البحر.. فقام وصلى لله تعالى، وقال: يا رب اتخذت لك مسجداً فى موضع لم يبلغه أحد من الناس.. واستغرق يونس فى تسبيح الله سبحانه وتعالى، قائلاً: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين..

وعندئذ سمعت الملائكة تسبيح يونس، فقالوا : يا ربنا، صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة.... فقال تعالى: أما تعرفون ذاك؟ قالوا : يا رب، ومن هو؟ قال: عبدى يونس. قالوا : عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة..



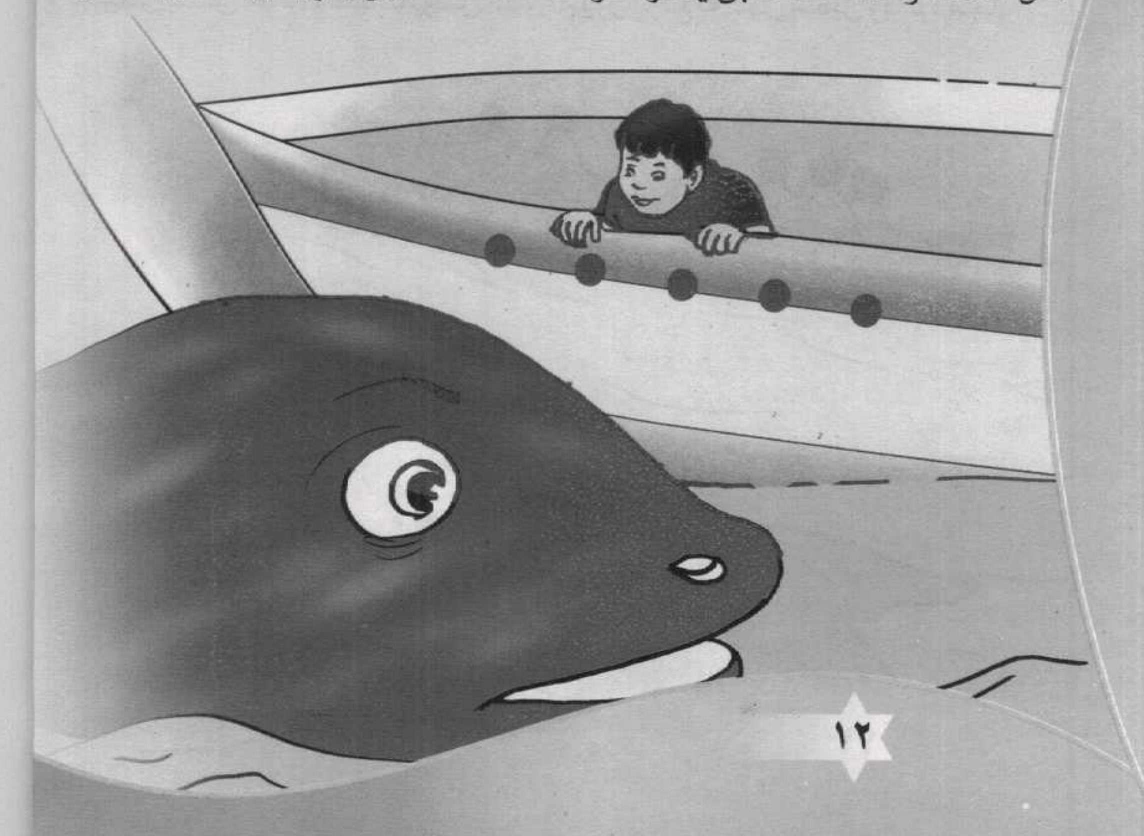
قالوا: يا رب، أو لا ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فتنجيه من البلاء.. قال: بلى..

فأمر الحوت فطرحه فى العراء..

قال أحمد: هذا درس عظيم يعلمنا أن العبد كلما كان قريباً من الله فى وقت الرخاء حفظه الله من كل سوء وقت الشدة والبلاء، والرسول الكريم محمد ﷺ يقول: "اعرف الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة".

قال الحوت: ولقد جعل الله سبحانه وتعالى دعوة يونس عليه السلام وقت الشدة بشرى لكل مؤمن يقولها فى شدته فهى ليست خاصة بيونس، فقد قال: "دعوة ذى النون إذ دعا وهو فى بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط إلا استجاب الله له". وذلك لأن الله تعالى يقول فى خاتمة الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

قال أحمد: ولقد سمعت أبى يذكر مقولة لأحد الصالحين يقول فيها: عجبت لمن



ابتلى بالهم والحزن كيف يغفل عن قول الله تعالى:

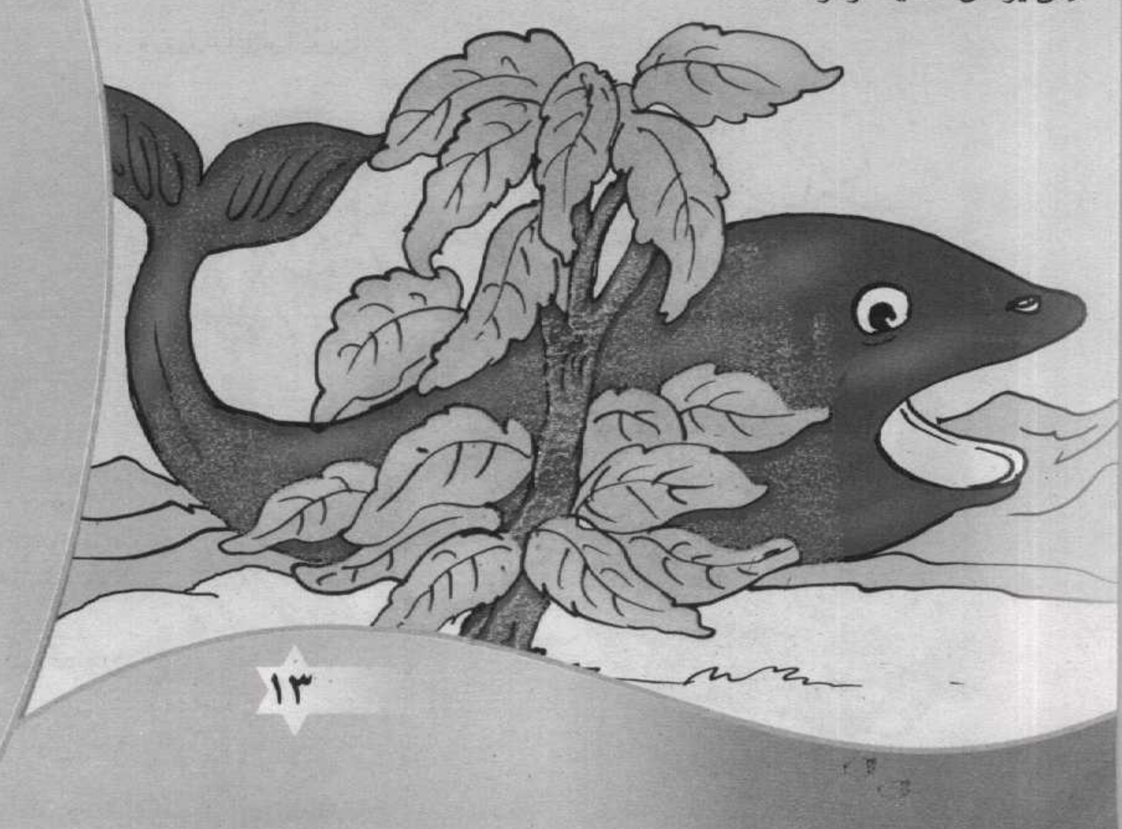
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لأن الله تعالى يقول بعقبها:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

قال الحوت: صدقت يا أحمد..

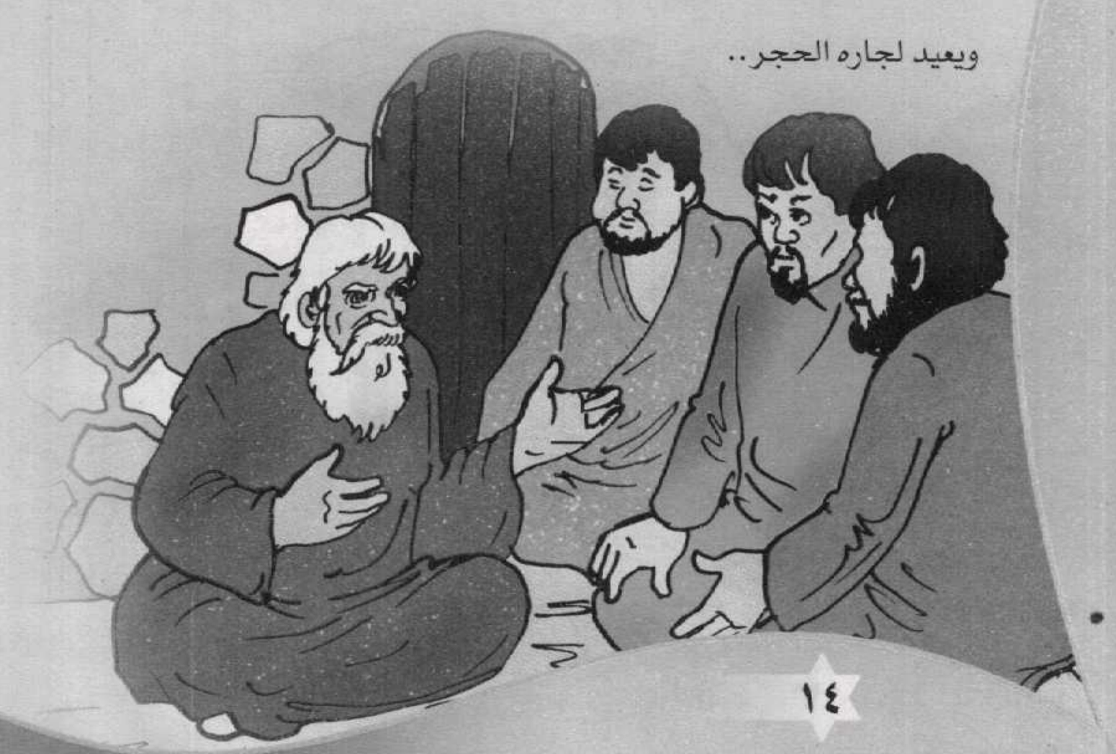
قال أحمد: وماذا حدث ليونس عليه السلام بعد أن قذفه الحوت بالساحل..

قال الحوت: لما أمر الله سبحانه جدى الحوت بإخراج يونس من جوفه .. استجاب جدى الحوت لأمر الله سبحانه وتعالى.. وذهب ناحية الساحل وألقى بيونس عليه السلام بأرض ليس بها نبت ولا بناء، وهو ضعيف البدن كهيئة الصبى حين يولد.. وفى هذه اللحظة نزل فضل الله على عبده يونس حيث أنبت الله سبحانه عليه شجرة القرع ليستظل بورقها الكبير الناعم.. ويتغذى بثمرها.. وبعد فترة عادت إلى يونس عافيته وقوته..



قال أحمد: ما حكيته لى أيها الحوت الصديق هو ما كان من أمر نبى الله يونس عليه السلام لما ترك قومه.. ولكنك لم تخبرنى عما حدث لقوم يونس بعد أن تركهم..

قال الحوت: إن يونس عليه السلام قبل أن يترك قومه.. كان قد وعدهم بعذاب من الله تعالى سيحل بهم بعد ثلاثة أيام نتيجة تكذيبهم وكفرهم.. وحينئذ رأى قوم يونس غيمًا وعواصف ورياحًا شديدة وانقلابًا فى الطبيعة، فذهبوا إلى ذوى الرأى فيهم فقالوا لهم: إن هذه بداية عذاب سيصيبهم به الله سبحانه وتعالى لما فعلوه مع نبى الله يونس. وقالوا لهم: اذهبوا لترضوا يونس لأن الله تعالى هو الذى أرسله لكم فآمنوا به ليكشف الله عنكم الغمة.. ولكنهم لم يجدوا يونس.. فآمنوا جميعًا وبدءوا يردون المظالم إلى أهلها حتى قيل إن الرجل كان يهدم جدار بيته لأن به حجرًا سرقه من جاره ويعيد لجاره الحجر..



فرضى الله سبحانه وتعالى عنهم وقبل توبتهم وأحسن إيمانهم.. ورفع الله سبحانه عنهم العذاب..

قال أحمد: وهل عاد إليهم نبى الله يونس بعد ذلك؟

قال الحوت: نعم يا أحمد.. فقد عاد إليهم نبيهم يونس يعلمهم الخير، ويبين لهم طريق الإيمان..

قال أحمد: هذه قصة عظيمة يا صديقى الحوت.. وما أحسن استجابة جدك الحوت لأمر الله سبحانه عندما ابتلع يونس عليه السلام..

قال الحوت: ولا تنس أيضا يا أحمد، صلاح نبى الله يونس الذى دعا الله سبحانه وذكره وصلى له فى مكان لم يعبد الله فيه أحد من الناس غيره، وهذا المكان هو بطن جدى الحوت، والرسول ﷺ يقول: "لا ينبغى لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى".

قال أحمد: أشكرك يا صديقى الحوت على هذه اللحظات الجميلة التى قضيتها معى فى هذه الليلة..



قال الحوت: أنا الذى أشكرك يا أحمد لأنك ذكرتنى بهذه الأحداث الجميلة ..

وعليك أن تداوم علـى قراءة القرآن وتجتهـد فى طلـب العلـم وتعلمـه لغيرك، فإننا معشر الحيتان ندعو لأهل العلم، وقد قال ﷺ: " إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة فى جحرهـا وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير"

قال أحمد: جزاك الله خيرًا أيها الجوت..

ولا تنس كذلك يا أحمد أن تقول دائما: (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين).

وانصرف الحوت وترك أحمد يتدبر ما سمعه من الحكايات.. وبعد لحظات واصل أحمد قراءة القرآن مرة ثانية..

